تمهيد: لطالما ارتبطت الأوضاع الثقافية والفكرية بحاضرة تونس لمدى قوة وانتشار وتوسع المراكز العلمية، هذه الأخيرة التي اشاعت فيها العلوم بكل مصنفاتها، فاحتدمت بين العلماء والفقهاء ومشايخ الزوايا الدينية الذين اقاموا وزنا ثقافيا لها.

1. الحواضر العلمية:

- **مدينة تونس:** تعتبر من أشهر وأكبر الحواضر في تونس، حيث تعاقب عليها عدة دول، شيدت بها منشآت عمرانية، دينية ومؤسسات تعليمية عديدة أبرزها جامع الزيتونة الذي يعتبر منارة علمية، فأصبحت مركزا ثقافيا حيث توافد اليها العديد من الطلبة والعلماء من مختلف المناطق.

- **مدينة القيروان:** أسسها عقبة بن نافع، تعاقبت عليها عدة دول، حيث في العهد العثماني حرص الحكام على ترميم مسجدها جامع القيروان، فأصبحت مركز اشعاع علمي.

- **مدينة باجة:** تقع غرب مدينة تونس، فقد كانت باجة مدينة ثرية منذ القدم ومحطة القوافل، وفي العهد العثماني أصبحت من اهم الحواضر في الايالة التونسية نظرا لوزنها التاريخي.

2. المؤسسات التعليمية:

1.2 الكتاتيب: هي بمثابة مراكز للتعليم التحضيري والابتدائي، كان يطلق عليها المسيد، وظيفتها الأساسية هي تعليم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن للأطفال، وكانت منتشرة في القرى والمدن.

2.2 المساجد: كونها مكان للعبادة والصلاة، كذلك كانت منارة للعلم، حيث كانت تقام فيها حلقات الدروس من أبرزهم جامع الزيتونة الذي يعتبر مركز اشعاعي حضاري، ومنارة علمية يقصده العلماء من مختلف الأوطان المجاورة بالإضافة الى: جامع القيروان، جامع يوسف داي، مسجد محمد باي المرادي، جامع سيدي محرز، جامع حمودة باشا، جامع صاحب الطابع....

3.2 الزوايا: كان للزوايا دور تربوي تعليمي و ذلك من خلال تعليم القراءة و الكتابة، وتحفيظ القرآن الكريم، حيث أُعتبرت معهد للتعليم القرآني و العلوم الشريعة، و تجلى الدور الديني في الحفاظ على العقيدة الإسلامية (المذهب المالكي) ، كذلك الاجتماعي الذي تمثل في إيواء و اطعام الفقراء، الطلبة و عابري السبيل...، حيث أصبحت تحظى بشعبية و أضحى لها تأثير كبيرا و نوع من النفوذ نذكر منها: زاوية سيدي عبد القادر، زاوية إبراهيم الرياحي...

4.2 المدارس: لقد كانت منتشرة في المدن والقرى، وكانت تتخذ منهجا تعليميا واحدا دون ان تكون لها هيئة مركزية، على غرار مدارس الحفصيين أثناء العهد العثماني قام الحكام من بايات وغيرهم بتشييد مدارس جديدة مثل: المدرسة الشماعية، المدرسة المرادية – المدرسة الحسينية – مدرسة النخلة – المدرسة الباشية – المدرسة السليمانية – المدرسة العاشورية...

5.2 المكتبات: هي التي كانت تضم اشتات المخطوطات والكتب في مختلف التخصصات، كما كان يقصدها الطلبة والأساتذة من جميع النواحي للمطالعة فيها، لاسيما المكتبات العامة التي كانت وقفا وحبسا على المساجد والجوامع مثل جامع الزيتونة بالإضافة الى الزوايا والمدارس، اما المكتبات الخاصة فيعود اغلبها الى البيوتات التي نالت شهرة عالمية والحكام.

6.2 الرباطات: تعتبر منشآت دينية علمية دفاعية تقام على السواحل، وهي مكان يجمع فيه بين العبادة والجهاد، وكان يجتمع فيها ليلا لتلاوة القرآن والسماع لكتب الوعظ والتذكير بالله، ومن الاربطة الموجودة بتونس نذكر: رباط سوسة، رباط المنستير، ربط البحر بقابس...، حيث أصبحت مركزا علميا وثقافيا.

3. المناهج التعليمية: كان التعليم في العهد العثماني شبه مستقل عن الدولة، ويخضع لمراقبة وتوجيهات نظار الاحباس، وهذا نظرا لكون نفقاته كانت تدفع من الأوقاف، وهو يتم عبر المراحل التالية:

1.3 التعليم الابتدائي: كان يتم في الكتاتيب يعلمون الصبيان القراءة والكتابة، كانت طريقة التعليم تتم على شكل حلقة يتصدرها الشيخ وينتظم الصبية حوله في نصف دائرة، يجلسون على الحصيرة وبيد كل واحد لوحة خشبية.

2.3 التعليم الثانوي: كان يتم في المساجد والزوايا، يتولى فيها تدريس الطلبة فقيه الزاوية او امام المسجد، كانت طريقة الجلوس فيها دائرية يتوسطها شيخ يلقي على الطلبة أنواع من العلوم الدينية واللغوية، تتم الدروس عن طريق الشرح والاملاء.

3.3 التعليم العالي: يتم في المدارس والجوامع الكبرى في المدن مثل جامع الزيتونة.

4. أهم العلوم والعلماء:

- **العلوم النقلية:** هي علوم شرعية مستنبطة من الكتاب والسنة منها: الفقه، التفسير، علم الحديث، علم الكلام والقراءات.

- **العلوم العقلية:** تتمثل في الطب، الفلك، الصيدلة، المنطق والحساب.

بالإضافة الى التاريخ واللغة العربية.

برز في تونس عدة علماء نذكر منهم: محمد تاج العارفين – أحمد بن مصطفى برناز – إبراهيم الرياحي – أحمد الاصرم – محمد الشافعي الباجي – حمودة بن عبد العزيز...

5. الطرق الصوفية: نذكر أهمها:

- **الطريقة الشابية:** تعود الى مؤسسها الروحي الشيخ أحمد بن مخلوف والمؤسس الحقيقي عرفة الشابي، وهي فرع من فروع الطريقة الناصرية.

- **الطريقة الشاذلية:** يعود نسبها الى الحسن بن علي الشاذلي.

- **الطريقة البوعلية:** يعود نسبها الى بوعلي السني، انتشرت في بمنطقة الجريد.

حيث تفرعت عن تلك الطرق الصوفية زوايا التي لعبت دورا كبيرا في تولد الصلات الروحية بين السكان، وصارت مراكز اشعاع علمي يقصدها الطلبة والعلماء من داخل تونس وخارجها.

خاتمة: شهدت الحياة الثقافية في تونس خلال العهد العثماني ازدهارا و تطورا كبيرا، وهذا راجع الى دور الحكام و عنايتهم ، نتيجة ميولهم الشخصية للعلم و العلماء و على رأسهم "حمودة باشا" الذي شجع العلماء و اهتم بهم لقد كان يجالسهم و يشارك في مناقشتهم، حيث أصبحت تونس قبلة للطلبة العلم و العلماء ، على عكس الجزائر التي شهدت تدهورا كبيرا في هذا المجال.